عبد القادر الحصني

مشاهد من الموت الرائع

المشهد الاول

لقد كان حزنا جميلا
فلم ابك الا لعينيك ذات المساء.
وما كنت الا حنين المزامير ..
لحنا ترددده الريح عبر ارتعاش القصب
وما كنت وحدي
فقد عبرت فيّ كل القوافل ذاك المساء
بعينيك
حين فتحت ذراعيّ ادركت سر انتمائي
وفاجأني الحزن في مقلتيك صليبا تعمّد بالدمع
كان الصليب بعينيك ظلي !!
ارتميت عليه ..
فادركت سرّ ابتدائك فيّ .
وسر انتهائي ..
لقد كان حزنا جميلا .
فلم ابك الا لعينيك ذاك المساء

* * *

المشهد الثاني

تخيّلت اني على شاطيء الكون جسم غريب
سيُرمى بعيدا بقلب الفراغ .
فخفت ..
صرخت امسكيني سأهوي الى اللانهاية
اما سقطت فما من قرار .
وحدقت .
كل المرايا حوالي كانت سجونا .
وكل المدارات كانت تراهق في لحظه الاحتضار
هويت
اتركيني ..
ولن تنقذيني مهما مددت ذراعي
تعرفت كيف تمارس بعض الكواكب نوعا من الانشطار
وساد سكون عميق .
ودوّى بقلب السكون انفجار
لقد كان حزنا جميلا .
فلم ابك الا لعينيك ذاك المساء

* * *

المشهد الثالث

أنا الآن عدت اليك .. فعودي .
لاكتب سفر صعودي .
أفسر نوع العلاقة بين تلاشي الحدود
وبين وجودي .
فحين انطلقت الى مركز الدائرة .
تجاوزت مملكة الفرح المر ..
والبسمة الحائرة .
وحلقت في عالم المطلقات .
رأيتك في فرحة الخوف حين الفصول
استحالت خريفا ..
تشدينني نحو نهديك في رعشة دافئة
تشدينني نحو حلم على كوكب عشقته الشموس
وقلت : هناك سيغسلنا النور عند عيون النهار
سنفلت من ربقه القيد
سوف نشق الحصار .
وعريتني في المحطة قبل وصول القطار .
وقلت بانك ما عدت تحتملين احتراق المجرات .
نزف الهواجس .. والانتظار .
وقلت .. وقلت .. وما قلت شيئا .
لقد كان حزنا جميلا .
فلم ابك الا لعينيك ذاك المساء

* * *

المشهد الرابع

أنا الآن في برزخ الحبّ
اشتاق ان تحمليني اليه .
على صحوة السكر ..
عبر اغتراب المحار .
واشتاق ان تذبحيني على موقد حجري قديم
وان تحرقيني .
فاصعد في أعين الناسكين دخانا ونار .
اعلمهم من طقوس العبادة حبك .. والانتحار .
واخبرهم : ان في الكون حزنا جميلا .
وان القوافل تعبر في العاشقين بكل مساء .

حمص (سوريا)

---

٢ ــ تبعث بعد الموت كتحد لكن الغريب ان البعث يكون دائما ولادة في البار .. او ضياعا .. وغربة ، وهذه حالة الشاعر ..

٣ ــ غربتها ذات ديمومة ..

٤ ــ غلبة التعبير السردي .. الذي قد يبعدنا عن جو المعاناة لدى الشخصيات .

٥ ــ بعض الافكار الغيبية ــ وهذا ما لا نغفره للشاعر قطعا ــ كما في لوم الشاعر للقاهر بالله الفاطمي الذي اضطر في اخريات ايامه الى السؤال بعد العز فكان تسوّله لعنة على الاجيال اللاحقة (!) (ص ١٨)

الحزن النابت فيك نما فينا
ليتك لم تشحذ
ليتك لم تك ماضينا ...

٦ ــ ان الشعر يدعونا الى الصيرورة اكثر مما يدعونا الى الفهم كما يقول بول فاليري .. ولا بد من تفجير الواقع عبر الممكن وتجاوز مرحلة التصوير واستعمال الاسطورة كتاريخ لحالات نفسية واجتماعية فقط ..

اخيرا اشير الى مدى استغلال الشاعر للالفاظ في استعمالها باعتبار دلالتها المزدوجة المنطقية من جهة والنفسية من جهة ثانية (وان كان الاستعمال اضعف بالنسبة للدلالة الثانية) فلا بد الى جانب التموجات الصوتية للفظة .. من ظلال شعورية ملونة تتجاوز ضيق الفهم للمدلول باعتبار اللفظة دائما : موسيقى .. صورة .. ومدلولا ...

ولعله في عطائه المقبل سيطل علينا بتجربة اكثر عمقا واوضح رؤية حيث تضمحل او تنفص بصمات بعض الشعراء العرب على شعره ... كسعدي يوسف خاصة .. واذا اعتبرنا كون هذا الديوان هو باكورة نتاج الشاعر فان ثقتنا تزداد في قدرة عطائه التي ستتجاوز ــ كما نتمنى لها ــ مرحلة الثورة المقلقة ..

دمشق

محمد علي اليوسفي

(*) محمد خالدي ــ قراءة الاسفار المحترقة ــ شعر ــ مطبعة الغري الحديثة ــ ساعدت وزارة الاعلام على طبعه ..